

النفحة الرابعة عشرة: معالم الصبر في رمضان

من الثمار اليانعة التي يجنيها العبد في شهر الصيام «الصبر»، لأن في الصوم تعويداً وتدريباً للمؤمن على الصبر، ولقد سمى النبي ﷺ شهر رمضان بشهر الصبر، وقال الحبيب ﷺ: «الصوم نصف الصبر»⁽¹⁾.

ويتضح ذلك عندما يصوم المسلم فيتوجب عليه أن يكف شهواته على ما اعتاده من أكل الطيبات والملذات، وفي ذلك قمة الصبر، وحين يصبر على ما يجد من قسوة الجوع ولهيب العطش ووهن الجسم والنفس، وما يقوم به من عبادات وقربات في الليل من صلاة التراويح والقيام، والنهار من كثرة الذكر وتلاوة القرآن، وهذا نوع من الصبر على طاعة الله تعالى، فالصوم على هذا يجرد العبد من حظوظ نفسه، وشهواته التي تأصلت به وجبل عليها، ويجعله يتسامى ويتعالى على دواعي النفس ورغباتها، ولا يتحقق هذا إلا بالصبر.

من هذا المنطلق أخذ الحديث عن الصبر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم ﷺ شوطاً كبيراً ومساحة ليست بالقليلة، وجعل الله سبحانه وتعالى للصبر تشعبات كثيرة في حياة المسلمين، كما جعل له خصالاً ومزايا تنعكس على العبد، فيعيش في ظلها ويسعد بنتائجها.

ولنا أن نتلمس معالم الصبر وثماره في كتاب الله تعالى، وما يفرز من سعادة يتسربل بها الإنسان إن كان جلدأ صابراً في المواقف والميادين التي تقتضي منه ذلك.

يأتي الصبر في حياة المسلم ليكون عوناً له على العبادة والطاعة، ومواصلة أعمال الخير والبر، ولا يمكن للقربات والعبادات أن يتنامى نيجها، ويزكو

(1) رواه الترمذي، 5/ 536 وقال: هذا الحديث حسن، ورواه الدارمي 1/ 174، رقم: (654).

نورها، وتبقى قوية متدفقة في كيان المسلم ما لم ترتكز على دعائم الصبر وقواعد المصابرة، ومن هنا يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]، فالصبر خير معين لك على مداومة الأعمال واستمرارها.

ويأتي الصبر في ميادين الوغى وساحات لقاء العدو، فيكون خير زاد ينسكب في قلوب البواسل الذين استمدوا صمودهم وجسارتهم من صبر أفاضه الله عليهم وغمرهم به، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250]، إنه ثبات لا تزلزله كثرة العدو وقوته، ومع هول المعركة ومشقة اللقاء، إلا أن الصابر هو الذي يقرر مصير المعركة، وحسم المواقف، ما دام متصلًا بالخالق العظيم سبحانه.

والآيات التي تعزز هذا المعنى كثيرة، ورسمها لملامح الصبر في ساعات الضيق والحرج دقيقة، يقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146].

ويقول سبحانه: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 125].

ويأتي الصبر ليكون سبباً من أبرز الأسباب التي تسهم في وراثة الأرض وبسط سلطان الحق عليها، فكلما كان المستضعفون في الأرض صابرين محتسبين، لا تؤثر في إيمانهم جوائح الهوى، وتيارات الباطل، استأهلوا ليكونوا بحق خلفاء الله في أرضه، ورثوا الملك وأخذوا بأزمته.

فهذا حديث موسى عليه السلام يقول: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلصَّابِرِينَ﴾ [الأعراف: 128]، فكانت النتيجة الواضحة: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَضَعِفُونَ مَشْرُوكِ الْأَرْضِ وَمَعْرِبِهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكَمَتَ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ

يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأعراف: 137].

ويأتي الصبر في حياة الأتقياء ليكون عنوان حب بين العبد وربه فلقد أوجب الحق ﷺ محبته للصابرين، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]، كما أنه أوجب معيته وحفظه وتأييده لهم فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249] فأبي فضل هذا الذي حاز عليه الصابرون من ربهم؟ إنه حب ومعية.

ويمتد الصبر في صفحات الكون وحناياها، ليكون مؤشراً لأولي الالباب ودليلاً على عظمة الخالق وإبداعه في الكون، فلم ينل أحد درجة التفكير والتدبر في ملكوت الله، والانتفاع بالعبر والآيات الكونية كما نال ذلك الصابرون، ولنصفح حقيقة هذا المعنى في كتاب الله، قال الله سبحانه وتعالى لموسى ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم: 5].

وعندما تحدث عن قوم سبأ قال جل ثناؤه: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْزِقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ: 19].

ولا يصل العبد إلى مقام «الإمامة» إلا بالصبر، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ يَا مَرْغُوبًا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: 24]، وإن المتتبع لسير الأنبياء والصالحين، وحتى العباقر والمبدعين، يجد أن ما نالوه من أعلى الدرجات وما حصلوا عليه من الأوسمة والحفاوات، كان بفضل جلدتهم وصبرهم في شتى شؤون حياتهم.

فهذا يوسف ﷺ، قد مكّن الله له، وجعله على خزائن الأرض، فأمره مطاع، وكلامه نافذ، والناس يفتدون إليه من كل فجاج الأرض، فلما قدم عليه إخوته: ﴿قَالُوا أَوَآتَاكَ لَنَا يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: 90].

فصبره استطاع أن يتجاوز المحن ويتغلب على الشدائد حتى بؤاه الله صدارة القوم وسيادتهم.

وهذا إبراهيم عليه السلام الذي ضرب أروع الأمثلة في الصبر والمصابرة، لشدة المحن والبلايا التي نزلت عليه، وكان من أجلها تلك المحنة التي أمر بها أن يذبح ولده، فانقاد لأمر الله صابراً ومحتباً هو وولده إسماعيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظَرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأْتِيَ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: 102].

وكم أثنى مولانا سبحانه على نبيه أيوب عليه السلام، لجلادته في الأمور وصبره على الاختبار السماوي، فأثنى الله عليه قائلاً: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: 44].

وهكذا شأن باقي الأنبياء والمرسلين عليهم السلام: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: 85].

ويعجز البيان عن وصف صبر سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (منذ بدء الجهر بالدعوة وما لاقى من صنديد ورجالات قريش من الأذى والتعذيب والسخرية والاستهزاء، وأنواع الحصار والتجويع والمقاطعة، ثم الهجرة وترك الوطن والديار، وغير ذلك من أصناف العداة... ولعظيم الأحداث الجسام التي كانت تقف في وجه النبي صلى الله عليه وسلم جاء القرآن ليثبتته ويصبره في كثير من المواقف الحرجة، ولو لم تكن المصائب التي توجه إليه شديدة الوقع والخطب لما أمره الله تبارك وتعالى بالصبر والتحمل، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَبَقِ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التحل: 127]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: 130].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾﴾

[الرؤم: 60].

وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ بِيَوْمٍ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ
لَا يَلْبِثُونَ إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَمَهْلُ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: 35].

أيها الأحباب:

لقد جعل الحق ﷻ للأعمال ثواباً محدداً، فجعل الحسنه بعشر أمثالها لمن قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى، وجعل خمساً وعشرين درجة لمن صلّى في جماعة، وهكذا في كثير من أنواع الطاعات والعبادات إلا الصبر، فإن المولى تبارك وتعالى لم يحدد رقماً محدداً ولا عدداً ثابتاً للصابر، بل ترك باب العطاء مفتوحاً على مصراعيه للصابرين المحتبين، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

وتصبير النفس على لأواء العيش، وإرهاق الجانب يحتاج إلى عزم وقوة، ومجاابه الشدائد وتحمل المكاره لا يقوى عليها من عاش في كنف الدعة والطراوة، ذلك لأن طريق الإيمان ومنهج الشرف والأنفة، لا بد فيه من حزم وصبر من طراز خاص، ومن استسهل المتاعب ألفها.

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى⁽¹⁾: الإنسان يتحرك ويكتشف معدنه، ويغزر إنتاجه كلما أحسّ خطر المعارضين، أو صدمات الشدائد، كأن أسرار الحياة الكامنة فيه يثيرها التهديد، فتحفز للدفاع عن نفسها، فتندفع إلى الأمام ناشطة آمله. ومعادن العظماء إنما تبرق وسط الأنواء التي تكتنفها، فكان هذه الأنواء رياح تنفخ في ضرامها فيتوهج، ولو ترك وحده لكان وشيك الانطفاء.

ومن حكمة الله البالغة أنه لم يدع البشر يحيون في بيئه تعطيهم خيرها منحاً، بل استحيهم في بيئه تفرض الكفاح فرضاً، ولا تعطي الثمار إلا بعد غراس، وهذا الجهد المبذول من مصلحه الحياة نفسها لتبقى وتزدهر، ومن مصلحه الأحياء أنفسهم ليلبغوا تمامهم.

حكى أحد العلماء عن نفسه فقال: كنت مغرماً في طفولتي بجمع شرانق

(1) الجانب العاطفي من الإسلام، محمد الغزالي، ص 195.

الفراش، ومراقبة خروج الفراشة منها في الربيع، وكان جهادها في التخلص من سجنها يثير عظمي دائماً، وأتى والدي يوماً بمقصر وأعمله في غلاف الحرير المطبق على الفراشة وساعدها على الخلاص، ولكنها ما لبثت قليلاً حتى ماتت، وعندئذ قال أبي: يا بني إن الجهد الذي تبذله الفراشة لتخرج من الشرنقة يخرج السم من جسمها، وإن لم يخرج هذا السم ماتت الفراشة، وكذلك الناس إذا جهدوا في سبيل ما يريدون زادوا قوة وعزماً، ولكن إذا اتاهم ما يريدون سهلاً طبعاً، غلب عليهم الضعف، ومات منهم شيء جليل الخطر.

وهكذا تعلم أن طبيعة الحياة عجيبة، لأنها لا تعطينا إلا لتأخذ منا، ولا تهب لنا شيئاً إلا لتنال مقابلاً، إنها تكيل لنا صاعاً بصاع، فلا غرو إذا كانت آمالنا لا تتحقق إلا بين الأشواك في الأرض الوعرة، وكأنما شاءت الدنيا أن تخفي مفاتنها تحت مصارع المطامع لتدفع الإنسان إلى مواجهتها والتغلب عليها.

وهذا هو الميزان الذي يقاس به الناس، وتعرف به معادتهم، وبهذا المعيار يتضح الفرق الواضح والبون الشاسع بين الرجال الأبطال العظماء الذين يتحدثون الملمات والشدائد بالقوة والصبر والعزم، وبين الصعاليك الرعايد الذين جعلوا الحياة مزاجاً واحداً وطعماً لا يتغير، وقديماً قالوا: وبضدها تتميز الأشياء، فلا طعم للحلو دون المر، ولا مذاق للماء الفرات دون الماء الأجاج.

ومن هنا كان للمسلم عند ربه وهو يكافح الحياة ويكابد مرارتها أجر عظيم وثواب جزيل إن هو صبر واحتسب، قال ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي له الرضى، ومن سخط فله السخط»⁽²⁾.

(1) رواه البخاري، 2137/5، رقم: (5318).

(2) رواه الترمذي، 601/4، رقم: (2396)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وعن عائشة رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنِ الطَّاعُونَ فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ مَا مِنْ عَبْدٍ يَكُونُ فِي بَلَدٍ يَكُونُ فِيهِ وَيَمُكُّثُ فِيهِ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْبَلَدِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ⁽¹⁾.

وهذا الحديث يكب العزاء والسلوان في قلوب بعض المسلمين الذين ابتلاهم الله تعالى بأمراض العصر المتنوعة والفتاكة، كالسرطان والسكر والكبد وغيرها من الأمراض التي يعسر الشفاء منها، والشفاء بيده سبحانه، فهؤلاء إن صبروا كانت أمراضهم رحمة ورفعة لهم، وحشروا يوم القيامة في زمرة الشهداء، وأكرم بها من منزلة وأنعم بها من خاتمة.

ولقد ضرب لنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أجلاً الأمثلة في صبرهم وحزمهم وهم يرتوون من مناهل الإيمان ويتفيؤون ظلالة، ويبلغون رسالة السماء ونور الوحي.

فهذا بلال بن رباح رضي الله عنه، سطر سيرة عظيمة في درب النضال والمصابرة لا يمكن أن ينساها الزمان، ولا تشبع الأذان من سحر نشيدها، فلقد عانى بلال بعد اعتناقه الإسلام من صنديد قريش من القسوة والبطش والغلظة ما لم يعانهِ غيره، وصبر هو ومن معه من المتضعفين على الابتلاء في سبيل الله كما لم يصبر أحد، فكان أغلاظ قريش إذا توسطت الشمس كبد السماء، والتهمت رمال مكة بالرمضاء، ينزعون عنه ثيابه، ويُلهبون ظهره بالسائط، ويطبِقون على صدره الصخور، ويشتدون عليه في النكال، فيهتف: أحد أحد... أحد أحد...

وكان الطاغية الجبار أمية بن خلف إذا ملَّ من تعذيبه، طوق عنقه بحبل غليظ، وأسلمه إلى السفهاء والولدان، وأمرهم أن يطوفوا به في شعاب مكة، وأن يجروه في أباطحها... فكان بلال رضوان الله عليه يستعذب العذاب في سبيل الله ورسوله، ويردد على الدوام نشيده العلوي: أحد أحد.

ولا يخفى علينا خبر خباب بن الأرت رضي الله عنه، وصبره وتحمله في سبيل الدين

(1) رواه البخاري، 3/ 1281، رقم: (3287).

والإيمان، فقد لاقى من قومه من العذاب والتنكيل ما الله به عليم، فكانوا إذا اشتدت الهاجرة، وغدت أشعة الشمس تلهب الأرض إلهاباً، أخرجوه إلى بطحاء مكة، ونزعوا عنه ثيابه، وألبسوه دروع الحديد، ومنعوا عنه الماء، حتى إذا بلغ منه الجهدُ كل مبلغ جاؤوا بالحجارة المحمية وأصقوها بظهره، وأبقوا عليها حتى يسيل دهن كتفيه.

وكانت سيده أم أنمار⁽¹⁾، تجيء إلى خباب يوماً بعد يوم، فتأخذ حديدة محمية من كثيره، وتضعها على رأسه حتى يدخن رأسه، ويغشى عليه، ولم يزحزح ذلك من عقيدته شيء، بل زاده صبراً وإيماناً وتسلماً.

أيها المسلمون:

لقد تنوعت عبارات العلماء وأحاديثهم حول الصبر وثماره، ولكنهم اتفقوا على أن الصبر هو⁽²⁾: حبس النفس على المكروه، وأنه من أصعب المنازل على العامة، وأوحشها في طريق المحبة.

وإنما كان صعباً على العامة، لأن المعاصي مبتدئ في الطريق، وليس له دُرْبَةٌ في السلوك، ولا تهذيب المرتاض بقطع المنازل، فإذا أصابته المحن أدركه الجزع وصعب عليه احتمال البلاء، وعزَّ عليه وجدان الصبر، لأنه ليس من أهل الرياضة، فيكون مستوطناً للصبر، ولا من أهل المحبة، فيلتذُّ بالبلاء في رضا محبوبه.

يقول الإمام الدجوي: الصبر هو الدواء الشافي لمن ملك الحزن على نفسه، والبلسم المعافي لمن قبض الجزع على زمام عواطفه، بل هو عين الراحة، وينبوع الفرح، ومبيد الهموم، ومزيل الغموم، ولا سبيل إلى ما علق بالمرء من الأحزان إلا التمسك به والتعلق بأهدابه، فهو ركن حصين في محاربتها، وعماد قويم على دفعها، وناهيك بعظم ثواب الصابرين، وسوء عاقبة الجازعين⁽³⁾.

(1) صور من حياة الصحابة: د. عبد الرحمن باشا، ص 313 و 428.

(2) مختصر مدارج السالكين: لابن القيم، 2/ 567.

(3) إتمام فتح الأخلاق ص 43.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله⁽¹⁾: (لا يكون التحكين إلا بعد المحبة، فإذا امتحن الإنسان فصبر مُكَّن، ألا ترى أن الله تعالى امتحن إبراهيم ثم مكنه، وامتحن أيوب ثم مكن له، فقال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: 84]، وامتحن سليمان ثم آتاه ملكاً، وكذلك يوسف عليه السلام.

فمن نظر في هذا فليعلم أن مدة هذا البلاء خطوات في ميدان معاملة، ويا قرب النهاية، فليصابر هجير الصبر، فما أسرع انقضاء اليوم، وليحذر من الخران في موسم البلاء، فربما ذهب أهل البضاعة).

ولقد جمع الإمام الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين»⁽²⁾ مجموعة أقوال مباركة في حد الصبر وثماره للصحابة الكرام رضوان الله عليهم ولبعض الحلف، منها:

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: الصبر مطية لا تكبو، والقناعة سيف لا ينبو.
وقال عبد الحميد: لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو أن الصبر والشكر بعيران، ما باليت أيهما ركبت.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أفضل العدة، الصبر على الشدة.

وقال بعض البلغاء: من خير خلائك، الصبر على اختلالك.

وقال ابن المقفع في كتاب اليتيمية: الصبر صبران، فاللثام أصبر أجساماً، والكرام أصبر نفوساً، وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون الرجل قوي الجسد على الكد والعمل، لأن هذا من صفات الحمير، ولكن أن يكون للنفس غلوباً، وللأمر متحملاً، ولجأشه عند الحفاظ مرتباً.

وقال عبيد بن الأبرص:

صَبَّرَ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُسْلِمٍ
إِنْ فِي الصَّبْرِ حِيلَةٌ الْمُحْتَالِ

(1) المتقى من ذم الهوى، لابن الجوزي ص 204.

(2) أدب الدنيا والدين، للماوردي ص 276.

له فرجة كحل العقالِ

فالصبر يفتق منها كل ما ارتحا
إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

رُبَّ ما تجزع النفوس من الأمر

وقال محمد بن البشير:

إن الأمور إذا سدت مطالبها
لا تياس وإن طالت مُطالبه
أخلى بذى الصبر أن يحظى بحاجته



www.ikbal.com